

● أصحاب الإجماع..

قراءة فكرية وتاريخية للتشيع

الشيخ زكريا داوود*

تحدثنا في دراسة سابقة، عن أصحاب الإجماع من الطبقة الثانية، وفي هذه الدراسة نكمل دراستنا حول أصحاب الإجماع اللذين كان لهم ابلغ التأثير في تكوين العقل الإسلامي.

ونبدأ هنا بالحديث عن أصحاب الإجماع من الطبقة الثالثة...

الطبقة الثالثة من أصحاب الإجماع

قال الشيخ الطوسي في «اختيار معرفة الرجال» وهو يعد أصحاب الإجماع من الطبقة الثالثة وهم الذين رووا عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام وأبي الحسن الرضا عليه السلام: أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء وتصديقهم، وأقروا لهم بالفقه والعلم، وهم ستة نفر آخر دون الستة نفر اللذين ذكرناهم في أصحاب أبي عبدالله عليه السلام، منهم يونس بن عبدالرحمن، وصفوان بن يحيى بياح السابري، ومحمد بن أبي عمير، وعبدالله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، وأحمد بن محمد بن أبي نصر.

وقال بعضهم مكان الحسن بن محبوب: الحسن بن علي بن فضال، وفضالة بن أيوب.

وقال بعضهم مكان ابن فضال: عثمان بن عيسى.

وأفقه هؤلاء يونس بن عبدالرحمن، وصفوان بن يحيى⁽¹⁾.

* رئيس التحرير - عالم دين وباحث - السعودية.

يونس بن عبد الرحمن.. رائد مدرسة العترة

مرت الجماعة الموالية لمدرسة الوحي التي قادها أهل البيت (عليهم السلام) بمخاضات عديدة داخلية، وكانت الرؤى المخالفة تسعى لتشيتت وعي ووجود الجماعة، وعلى العكس أدت تلك المخاضات إلى نمو الوعي السياسي، والتفكير في رؤى تستبطن التعايش مع الواقع، وتؤدي لتصحيحه، فقد كان التشيع في وعي الجماعة الأولى حركة تصحيحية لمسار الأمة. وكانت الإمامة في تكوينها وشرائطها ووظيفتها، تمثل مخرجاً حقيقياً لتخطي الأزمات التي انزلت إليها الأمة، ولم تكن الإمامة مجرد ظاهرة احتجاجية سياسية، بل رأت الجماعة أنها الامتداد الواقعي الحقيقي لمشروع بناء دولة الرسالة وفق تصورات ثابتة ومتكيفة مع طموحات الأمة، وقد واصل فقهاء مدرسة الوحي تبشيرهم بهذه القيم، وكانت المؤسسة السياسية ترقب تلك التحركات وتتوجس خيفةً من مؤداها.

وشخصية يونس بن عبد الرحمن، الذي ولد في نهاية حكم الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي (٧١-١٢٥هـ/٦٩٠-٧٤٣م)، الذي حكم بين الأعوام (١٠٥هـ/٧٢٤م) و(١٢٥هـ/٧٤٣م)، من تلك الشخصيات التي حملت تلك الرؤية الفكرية والسياسية، والتي سوف تضطر المؤسسة السياسية العباسية ظاهراً للقبول بها، حلاً لتفادي المطالبات الشعبية بها، عندما يقوم المأمون العباسي (١٧٠هـ - ٢١٨هـ/٧٨٦ - ٨٣٣م) بذلك مع الإمام الرضا (عليه السلام) حيث يوليه العهد عام ٢٠١هـ.

ولتأسيس وعي عامة الجماعة وفق تلك البنى والأصول الفكرية والدينية، كان على يونس أن يقترب أكثر من القيادة ومن العامة، وقد ساعدته تلك الازدواجية في تحقيق نجاحات كبيرة وفي تركيز وتدعيم مبدأ الإمامة في المجتمع الكوفي والعراقي بشكل عام، وهناك عوامل أخرى كقربه من الداعية العباسي يقطين بن موسى، وابنه علي الذي أصبح في عهد هارون وزيراً للخراج (= المالية)، لذا يصفه النجاشي في كتابه بالقول: يونس بن عبد الرحمن مولى علي بن يقطين بن موسى، مولى بني أسد، «أبو محمد»، كان وجهاً في أصحابنا، متقدماً، عظيم المنزلة^(٢).

يونس ومواجهة التيارات الفكرية:

يظهر للمتأمل في مسيرة الفكر والمعرفة، كثرة الانعطافات التي أدت إلى غياب الحقائق، وتشويه العديد من المبادئ، ومن بين المنعطافات التي انزلت فيها المفكرون وعلماء المعرفة البشرية هي مراحل التواصل المعرفي التي أحدثتها حركة الترجمة والفتوحات العسكرية لمدن الحضارتين الفارسية والبيزنطية، حيث تسربت أفكار وعقائد المدن المفتوحة للوسط الثقافي والفكر الإسلامي، ولم يمتلك العديد من العلماء والفقهاء الذين ابتعدوا عن مدرسة الوحي

بقيادة أئمة أهل البيت عليهم السلام الحصانة الكافية التي تحافظ على نقاء الفكر والمعتقد لديهم. هنا كان الدور الأكبر والمهم هو ما قام به فقهاء مدرسة الوحي تحت توجيه آل الرسول صلوات الله وسلامته عليه، فقد تصدوا بقوة لتلك الأفكار الدخيلة، وكان العقل والوحي رائدي الفقهاء في التعاطي الحواري مع التيارات المخالفة، والتي يمكن تحديد توجهاتها ومنطلقاتها في تيارات رئيسة ثلاثة هي:

التيار الأول: الفكر الفلسفي الوثني الوافد من خارج منظومة الأمة الفكرية والمعرفية، وقد مثلته حركة الزندقة والإلحاد وأصحاب الديانات الأخرى.

التيار الثاني: الفكر السلطوي الذي تنتجه مدرسة الخلفاء، وتمثل في الفكر السني الذي غذته السلطة ليكون بديلاً أو منافساً لفكر مدرسة الوحي والإمامة، وقد تأثر عامة الناس به، بل غاب عن قطاعات عديدة من فئات الأمة فكر ومنظومة المعرفة لآل الرسول صلوات الله وسلامته عليه، بسبب ما مارسه السلطة من كبت وتهييب لفقهاء مدرسة الوحي والإمامة.

التيار الثالث: الفكر المنحرف عن مدرسة الوحي، المنطلق من داخل الجماعة، وتمثل في تلك الفرق التي خرجت عن مسار مدرسة الوحي والإمامة، كالزيدية والإسماعيلية والواقفة. يقول الفضل بن شاذان (ت ٢٦٠هـ): حج يونس بن عبدالرحمن أربعاً وخمسين حجة، واعتمر أربعاً وخمسين عمرة، وألف ألف جلد رداً على المخالفين، ويقال: انتهى علم الأئمة عليهم السلام إلى أربعة نفر: أولهم سلمان الفارسي، والثاني جابر، والثالث السيد، والرابع يونس بن عبد الرحمن^(٣).

وإذا عرفنا أن يونس هو أحد تلاميذ الفقيه المتكلم هشام بن الحكم الكوفي (ت ١٩٠هـ)،- الذي يعد من كبار أصحاب الصادق عليه السلام، وعرف ببراعته في الحوار والمناظرة وهو شاب، وفاق الكثير من شيوخ مدرسة الوحي والإمامة - يمكننا أن ندرك تلك المكانة والقدرة الكبيرة على تناول العديد من المواضيع الفلسفية والفقهية والعلمية والمعرفية، وهذا ما يقرره النص المتقدم، وهذا النص الذي ينقله الطوسي في كتابه (اختيار معرفة الرجال) عندما يتطرق لشخصية يونس، حيث يقول سهل بن بحر، سمعت الفضل بن شاذان يقول: ما نشأ في الإسلام من سائر الناس كان أفتقه من سلمان الفارسي، ولا نشأ رجل بعده أفتقه من يونس بن عبدالرحمن رضي الله عنه^(٤).

ولعلمه وفقاوته المشهودة أصبح يونس ملجأً ليس لعامة الناس فحسب، بل حتى للكثير من فقهاء وعلماء مدرسة الوحي والإمامة، فهذا عبدالعزيز بن المهدي القمي، الذي يصفه الفضل بن شاذان بأنه خير قمي رآه، يقول وقد كان وكيلاً من وكلاء الإمام الرضا عليه السلام: سألت الرضا عليه السلام فقلت: إني لا ألتاك في كل وقت، فعمّن من آخذ معالم ديني؟ قال عليه السلام: خذ من يونس بن عبدالرحمن^(٥).

يونس وهشام في دار البرمكي:

ينقل لنا يونس بن عبدالرحمن حادثة تحمل الكثير من الدلالات وتوضح بعض ما تعرض له فقهاء مدرسة الوحي والإمامة، قال: كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد علي هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة، وأحب أن يغري به هارون ويضريه على القتل، وكان هارون لما بلغه عن هشام مال إليه، وذلك أن هشاماً تكلم يوماً بكلام عند يحيى بن خالد في إرث النبي ﷺ فنقل إلى هارون فأعجبه، وقد كان قبل ذلك يحيى يشرف أمره عند هارون ويرده عن أشياء كان يعزم عليها من إيدائه، فكان ميل هارون إلى هشام أحد ما غيّر قلب يحيى على هشام فسبه عنده، وقال له: يا أمير المؤمنين! إني قد استبطنت أمر هشام فإذا هو يزعم أن لله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة، قال: سبحان الله، قال: نعم، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج، وإنما كنا نرى أنه ممن يرى الإلباد بالأرض. فقال هارون ليحيى: فاجمع عندك المتكلمين وأكون أنا من وراء الستر ببني وبينهم، لا يفطنون بي، ولا يمتنع كل واحد منهم أن يأتي بأصله لهيبتي، قال: فوجه يحيى فأشحن المجلس من المتكلمين، وكان فيهم ضرار بن عمرو، وسليمان بن جرير، وعبدالله بن يزيد الأباضي، وموبدان موبذ، ورأس الجالوت. قال: فسألوا وتكافؤا وتناظروا وتناهوا إلى شاذ من مشاذ الكلام، كل يقول لصاحبه: لم تجب، ويقول: قد أجبت، وكان ذلك من يحيى حيلة على هشام، إذ لم يعلم بذلك المجلس واغتمت ذلك لعله كان أصابها هشام بن الحكم.

فلما أن تناهوا إلى هذا الموضع، قال لهم يحيى بن خالد: ترضون فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا: قد رضينا أيها الوزير فأنى لنا به وهو عليل، قال يحيى: فأنا أوجه إليه فأسأله أن يتجشم المجيء، فوجه إليه فأخبره بحضورهم، وأنه إنما منعه أن يحضره أول المجلس اتقياً عليه من العلة، فإن القوم قد اختلفوا في المسائل والأجوبة، وتراضوا بك حكماً بينهم، فإن رأيت أن تتفضل وتحمل على نفسك فافعل.

فلما صار الرسول إلى هشام: قال لي: يا يونس قلبي ينكر هذا القول، ولست آمن أن يكون هاهنا أمر لا أقف عليه، لأن هذا الملعون يحيى بن خالد قد تغير عليّ لأمر شتى، وقد كنت عزمت إن من الله عليّ بالخروج من هذه العلة أن أشخص إلى الكوفة وأحرم الكلام بته وألزم المسجد، ليقطع عني مشاهدة هذا الملعون يعني يحيى بن خالد.

قال: فقلت: جعلت فداك لا يكون إلا خيراً، فتحرز ما أمكنك، فقال لي: يا يونس أتري أتحرز من أمر يريد الله إظهاره على لساني أتى يكون ذلك، لكن قم بنا علي حول الله وقوته.

فركب هشام بغلاً كان مع رسوله، وركبت أنا حماراً كان لهشام، قال: فدخلنا المجلس فإذا هو مشحون بالمتكلمين، قال: فمضى هشام نحو يحيى فسلم عليه وسلم على القوم

وجلس قريباً منه، وجلست أنا حيث انتهى بي المجلس، قال: فأقبل يحيى على هشام بعد ساعة، فقال: إن القوم حضروا وكنا مع حضورهم نحب أن نحضر، لا لأن تناظر بل لأن نأس بحضورك إذ كانت العلة تقطعك عن المناظرة وأنت بحمد الله صالح ليست علتك بقاطعة عن المناظرة، وهؤلاء القوم قد تراضوا بك حكماً بينهم.

قال: فقال هشام للقوم: ما الموضوع الذي تناهيتهم به في المناظرة؟ فأخبره كل فريق منهم بموضع مقطعه، فكان من ذلك أن حكم لبعض على بعض، فكان من المحكومين عليه سليمان بن جرير فحقدتها على هشام.

قال: ثم إن يحيى بن خالد قال لهشام: إنا قد غرضنا من المناظرة والمجادلة منذ اليوم، ولكن إن رأيت أن تبين عن فساد اختيار الناس لإمام، وإن الإمامة في آل الرسول دون غيرهم؟ قال هشام: أيها الوزير العلة تقطعني عن ذلك، ولعل معترضاً يعترض فيكتسب المناظرة والخصومة.

فقال: إن اعتراض متعرض قبل أن تبلغ مرادك وغرضك فليس ذلك له، بل عليه أن يتحفظ المواضع التي له فيها مطعن فيقفها إلى فراغك ولا يقطع عليك كلامك، فبدأ هشام وساق الذكر لذلك وأطال، واختصرنا منه موضع الحاجة.

فلما فرغ مما قد ابتدأ فيه من الكلام في فساد اختيار الناس للإمام، قال يحيى لسليمان بن جرير: سل أبا محمد عن شيء من هذا الباب، فقال سليمان لهشام: أخبرني عن علي بن أبي طالب مفروض الطاعة؟ فقال هشام: نعم. قال: فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ فقال هشام: لا يأمرني، قال: ولم إذا كانت طاعته مفروضة عليك وعليك أن تطيعه؟ قال هشام: عد عن هذا فقد تبين فيه الجواب، قال سليمان: فلم يأمرك في حال تطيعه وفي حال لا تطيعه؟ فقال هشام: ويحك لم أقل لك: أنني لا أطيعه، فتقول: إن طاعته مفروضة، إنما قلت لك: لا يأمرني.

قال سليمان: ليس أسألك إلا على سبيل سلطان الجدل ليس على الواجب أنه لا يأمرك، فقال هشام: كم تحول حول الحمى، هل هو إلا أن أقول لك: إن أمرني فعلت، فينقطع أقبج الانقطاع، ولا يكون عندك زيادة، وأنا أعلم بما تحت قلبي وما إليه يؤول جوابي، قال: فتعمر هارون، وقال هارون: قد أفصح، وقام الناس، واغتمها هشام فخرج على وجهه إلى المدائن. قال: فبلغنا أن هارون قال ليحيى: شد يدك بهذا وأصحابه، وبعث إلى أبي الحسن موسى (عليه السلام) فحبسه، فكان هذا سبب حبسه مع غيره من الأسباب، وإنما أراد يحيى أن يهرب هشام، فيموت مختفياً مادام لهارون سلطان، قال: ثم صار هشام إلى الكوفة وهو بعقب علته، ومات في دار ابن شرف بالكوفة رحمه الله.

فبلغ هذا المجلس محمد بن سليمان النوفلي وابن ميثم وهما في حبس هارون، فقال النوفلي: ترى هشاماً ما استطاع أن يعتل؟ فقال ابن ميثم: بأي شيء يستطيع أن يعتل

وقد أوجب أن طاعته مفروضة من الله؟ قال: يعتل بأن يقول: الشرط عليّ في إمامته أن لا يدعو أحداً إلى الخروج حتى ينادي مناد من السماء، فمن دعائي ممن يدعي الإمامة قبل ذلك الوقت علمت أنه ليس بإمام، وطلبت من أهل هذا البيت ممن لا يقول إنه يخرج ولا يأمر بذلك حتى ينادي مناد من السماء فأعلم أنه صادق.

فقال ابن ميثم: هذا من حديث الخرافة، ومتى كان هذا في عقد الإمامة، إنما يروى هذا في صفة القائم عليه السلام، وهشام اجدل من إن يحتج بهذا، على أنه لم يفصح بهذا الإفصاح الذي قد شرطته أنت، إنما قال: إن امرني المفروض الطاعة بعد علي عليه السلام فعلت، ولم يسم فلاناً دون فلان، كما تقول: إن قال لي طلبت غيره، فلو قال هارون له وكان المناظر له: من المفروض الطاعة؟ فقال له: أنت، لم يمكن إن يقول له: فإن أمرتك بالخروج بالسيف تقاتل أعدائي تطلب غيري وتنتظر المنادي من السماء، هذا لا يتكلم به مثل هذا، لعلك لو كنت أنت تكلمت به، قال: ثم قال علي بن إسماعيل الميثمي: إنا لله وإنا إليه راجعون على ما يمضي من العلم إن قتل، فلقد كان عضدنا وشيخنا والمنظور إليه فينا^(٦).

يونس أول المؤمنين بالرضا عليه السلام:

تعرض الفقهاء والموالين لمدرسة الوحي والإمامة، بعد وفاة الصادق والكاظم عليهما السلام لمحنة عصفت بالكثير من أعيان وأقطاب الشيعة، وكانت أصعب مرحلة مر بها الشيعة، لكن وعي العديد من أعيان وأقطاب هذه المدرسة فوت الفرصة على السلطة والتنفيعيين الذين أرادوا اغتنام حالة البلبلية لتحقيق مكاسب مادية أنية.

وفي مثل تلك المحنة يتميز حقيقة الإيمان وعمق الوعي والإدراك، وكان يونس من الشخصيات التي تشربت علماً وفهماً من الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وأثبت شدة بصيرته في معرفة سبيل الحق في وقت انطمست فيه الحقائق، وخفيت معالم الدين، وقد عرف الأئمة عليهم السلام هذه الحقيقة من يونس قبل حدوث المحنة، فتوه الإمام الكاظم عليه السلام إلى هذه الحقيقة لأعلام مدرسة الوحي والإمامة.

قال أحمد بن محمد الأقرع، لقيت محمد بن الحسن فحدثني بهذا الحديث، قال: كنا في مجلس عيسى بن سليمان ببغداد، فجاء رجل إلى عيسى، فقال: أردت أن أكتب إلى أبي الحسن الأول عليه السلام في مسألة أسأله عنها: جعلت فداك عندنا قوم يقولون بمقالة يونس فأعطاهم من الزكاة شيئاً؟ قال، فكتب إلي: نعم أعطاهم فإن يونس أول من يجيب علياً إذا دعا، قال: كنا جلوساً بعد ذلك فدخل علينا رجل، فقال: قد مات أبو الحسن موسى عليه السلام، وكان يونس في المجلس، فقال يونس: يا معشر أهل المجلس إنه ليس بيني وبين الله إمام إلا علي بن موسى عليه السلام فهو إمامي^(٧).

وقد جاهر يونس مع شدة ووظاة الواقع السياسي والاجتماعي بموالاته للإمام الرضا

عليه السلام، وحارب تلك الأفكار الهدامة التي تبنتها التوجهات الفكرية المنحرفة كالواقفة الذين أخذوا يبيثون فكرة الوقف في المجتمع وبين فقهاء مدرسة الوحي والإمامة، فقام بجهود كبيرة في توضيح معالم الدين وتوجيه الناس للإمام الرضا عليه السلام، فقد ألف ما يقارب ١٠٠٠ رسالة في الرد على تلك الفرق والمذاهب التي نبتت في المجتمع العراقي وغيره، كما قام بتأليف كتاب في الإمامة، ولعله يصب في هذا المنحى.

قال يونس بن عبد الرحمن رضي الله عنه: مات أبو الحسن عليه السلام وليس من قوامه (وكلائه) أحد إلا وعنده المال الكثير فكان ذلك سبب وقفهم وجحودهم لموته وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، قال: فلما رأيت ذلك وتبين الحق وعرفت من أمر أبي الحسن عليه السلام ما علمت تكلمت ودعوت الناس إليه، قال: فبعثنا إليّ وقالوا: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمننا لي عشرة آلاف دينار وقالوا لي: كف، فأبيت وقلت لهم: إنا روينا عن الصادق عليه السلام أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب منه نور الإيمان، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كل حال، فتناصباني وأضمرنا لي العداوة^(أ).

يونس يواجه العاصفة:

وبسبب تلك الجهود الكبير التي قام بها يونس في خدمة الحق، ونصرة مدرسة الوحي والإمامة، قامت الواقفة وغيرهم من التوجهات المنحرفة بحملة منظمة لتشيويه صورة يونس وإبعاد تأثيره عن المجتمع العراقي، وفعلاً نجحت بعض تلك الجهود، وأثرت في استدراج العديد من فقهاء وعلماء المجتمع العراقي وغيره، كما نلاحظ ذلك عند القميين الذين رووا في يونس الكثير من النصوص التي تدمه وتقبح في مكانته. وقد وردت نصوص كثيرة تتعرض لمكانة يونس، قسمها علماء الرجال والفقهاء إلى مجموعتين هما:

١- النصوص التي تشيد بمكانة يونس وإيمانه.

٢- النصوص التي تقبح فيه وتدمه.

لكن ما لاحظه الذين تعرضوا للنصوص هو كثرة واستفاضة الروايات المادحة وصحتها، وقلة الروايات الذميمة وضعفها لكونها إما مراسيل، أو رواياتها من المقدوحين والضعفاء، ولهذا فإن الكشي قال بعد أن أورد تلك الروايات القادحة: فليُنظر الناظر فيتعجب من هذه الأخبار التي رواها القميين في يونس، وليعلم أنها لا تصح في العقل، وذلك أن أحمد بن محمد بن عيسى وعلي بن حديد قد ذكر الفضل من رجوعهما عن الوقفة في يونس، ولعل هذه الروايات كانت من أحمد قبل رجوعه، ومن علي مداراة لأصحابه، فأما يونس بن بهمن: فممن كان أخذ عن يونس بن عبدالرحمن أن يظهر له مثلبة فيحكيها عنه، والعقل

ينفي مثل هذا، إذ ليس في طباع الناس إظهار مساويهم بألسنتهم على نفوسهم، وأما حديث الحجال الذي رواه أحمد بن محمد: فإن أبا الحسن (عليه السلام) أجل خطراً وأعظم قدراً من أن يسب أحداً صراحاً، وكذلك آباؤه (عليهم السلام)، من قبله وولده من بعده، لأن الرواية عنهم بخلاف هذا، إذ كانوا قد نهوا عن مثله وحثوا على غيره مما فيه الزين للدين والدنيا^(٩).

بلغت حدة التشويه والمواجهة ليونس من قبل الفئات المخالفة والمنحرفة درجة كبيرة شملت جماعات عديدة، وكلما بعدت هذه الجماعات جغرافياً عن حركة يونس كان تأثيرها أكبر وأشد كما حدث لأهل البصرة ومن فيها من أتباع مدرسة الوحي والإمامة، حيث أصبحت جزءاً من تلك الدائرة العريضة، وسعى كثير منهم إلى إعلام الإمام الرضا (عليه السلام)، بما يتصورون أنه الحق، من آراء تقدح في يونس وتحط من مكانته، فقد ذكر جعفر بن عيسى قائلاً: كنا عند أبي الحسن الرضا (عليه السلام) وعنده يونس بن عبدالرحمن، إذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة، فأومى أبو الحسن (عليه السلام) إلى يونس: ادخل البيت! - فإذا بيت مسبل عليه ستر- وإياك أن تتحرك حتى يؤذن لك! فدخل البصريون وأكثروا من الوقعة والقول في يونس، وأبو الحسن (عليه السلام) مطرق، حتى لما أكثروا وقاموا فودعوا وخرجوا فأذن ليونس بالخروج، فخرج باكياً فقال: جعلني الله فداك! إني أحمي عن هذه المقالة وهذه حالي عند أصحابي! فقال له أبو الحسن (عليه السلام): يا يونس وما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً! يا يونس! حدث الناس بما يعرفون، واركهم مما لا يعرفون، كأنك تريد أن تكذب على الله في عرشه، يا يونس! وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بكرة أو قال الناس درة، أو بكرة فقال الناس درة، هل ينفعك ذلك شيئاً؟ فقلت: لا، فقال: هكذا أنت يا يونس، إذ كنت على الصواب وكان إمامك عنك راضياً لم يضرك ما قال الناس^(١٠).

عوامل وأسباب حركة التشويه:

لم تكن حركة التشويه التي استهدفت فقيه مدرسة أهل البيت (عليه السلام) يونس بن عبدالرحمن (رضي الله عنه) دون أسباب ومقدمات، ولم تكن تستهدف في كل تجلياتها يونس فقط بل كانت جزءاً من حركة استهدفت مدرسة فكرية وخطأً تصحيحياً بأكمله، فيونس أحد الفقهاء الذين يمثلون مدرسة الوحي والإمامة التي تسعى لنشر قيم الإسلام بشكلها الحقيقي بعيداً عن تشكيلاتها السلطوية، ومؤثرات وتصورات البشر المتأثرين بعوامل المحيط البعيدين عن بصائر القرآن والسنة، وبالأخص المؤسسة الدينية السلطوية التي انضوى تحت لوائها ما عرف فيما بعد بفقهاء السنة والجماعة.

ويمكننا بعد قراءة متأنية للنصوص التاريخية والدينية التي تعرضت ليونس أن نرصد أربعة اتجاهات شاركت في عملية التشويه، يشترك بعضها في الغاية والهدف، وقد يختلفون

في المنطلق، أما الأسباب والعوامل فهي:

١- عداء الاتجاهات المخالفة له:

وتنقسم لتوجهات ثلاثة رئيسة هي:

- أ- التوجه التابع للسلطة وفقهائها، وقد غذته خلفية فكرية سلفية، وسوف نلاحظ ذلك بشكل واضح في علاقة فقهاء مدرسة الرأي مع بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام.
- ب- التوجه الفلسفي الذي رعته السلطة كما رأينا في مجلس الحوار الذي حضره الفقيه المتكلم هشام بن الحكم وكيف تحالفت السلطة ممثلة في يحيى بن خالد البرمكي (ت ١٩٠هـ/٨٠٥م) مع سليمان بن جرير، ومن الطبيعي أن حضور يونس برفقة هشام الذي تسعى السلطة للإيقاع به سوف يلفت عيون البرمكيين الذين عرفوا بشدة الذكاء وتوقد الذهن، ولا بد من معرفة حجم علاقته بهشام.
- ت- الواقفة الذين رأوا في نشاط يونس خطراً محدقاً بوجودهم ومصالحهم، وقد مر الحديث عنهم.

٢- تأثر شرائح اجتماعية بأراء حركة الواقفية:

بطبيعة الحال تتفاوت قدرة الناس على وعي وفهم الخلفيات السلوكية والفكرية للحركات والتيارات الاجتماعية، ويسبب ذلك نوعاً من الاستلاب تجاهها، ويتمظهر في التأثر والإيمان بقناعات وآراء تلك الحركات دون تحليل وتدقيق ودون وعي لمنابع فكرها ومعارفها، وكلما كانت هذه الحركات ذات سلطة روحية أو سياسية وأمنية، فإن تأثيرها في الفئات الاجتماعية يتصاعد، وتمارس الحركات الروحية في الغالب عمليات إرجاعية لشخصيات وأزمان تلبسها طابع مقدس، وهنا تتم عملية استلاب شبه مطلق للفئات الاجتماعية، وقد تفتقد بعض الحركات بعدها التاريخي فتضطر لصنع وخلق رأي تلبسه القداسة، وتضفي عليه الشرعية، كما حدث للواقفة الذين افتقدوا البعد التاريخي والشرعي فقاموا بخلق شرعية دينية اعتمدت على تأويل النص، أو وضع نصوص أخرى، ومن الفئات التي تأثرت بفكر هذه الحركة الفكرية هم البصريون كما لاحظنا ذلك من خلال النص المتقدم ذكره.

٣- الاختلاف الفكري بين يونس وبعض الفئات الاجتماعية:

اصطبغت الكوفة بالتنوع الفكري والفقهي ويرجع ذلك في أحد أسبابه إلى التعدد العرقي والطائفي، حيث كانت الكوفة في بدء تأسيسها منطقة يتجمع فيها جنود الجيش الإسلامي، ويلاحظ ذلك في تسميتها بكوفان الجند، وبالطبع كان الجنود الذين يتقاطرون عليها متعددي الانتماءات القبلية والمناطقية، وبعد فترة من الزمن أصبحت الكوفة عاصمة

لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد هاجر الكثير من المسلمين المحبين لعلي عليه السلام إلى الكوفة لنصرة الحق والدفاع عن الإسلام، وأدى تنوع هذه الهجرات إلى حدوث تنوع فكري واختلاف فقهي.

وقد يكون الاختلاف منبعه راجع إلى فهم النص الديني وتأويله وتفسيره، وقد ينشأ الاختلاف بسبب البيئة الثقافية والاجتماعية التي يرجع إليها الإنسان والتي نشأ في أحضانها، ونحن هنا نرصد فئتين عارضت يونس بن عبدالرحمن وذلك من خلال الرجوع للروايات التي تعرضت لعلاقة يونس مع هاتين الفئتين، ويمكننا أن نرجع الاختلاف إلى تباين التفسير والتأويل للنص الديني، وهاتان الفئتان هما:

١- العلماء والفقهاء القميون.

٢- أتباع الفقيه علي بن حديد الكوفي.

عُدَّ يونس أفتق أصحاب الإجماع من الطبقة الثالثة، فقد كان من تلاميذ الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام، كما تتلمذ وأخذ الفقه والرواية عن أكثر من ستين شخصاً كان منهم جميل بن دراج الذي عُدَّ أفتق أصحاب الإجماع في الطبقة الثانية، وهشام بن الحكم الفقيه المتكلم الذي قال عنه هارون العباسي الخليفة المستبد الطاغوي بعد ذلك الحوار الذي جرى عند يحيى البرمكي: إن لسان هشام بن الحكم أوقع في النفوس من ألف سيف^(١١).

كما تتلمذ عند هشام بن سالم الذي اعتبر الشخصية الثانية في الكلام بعد هشام بن الحكم وكلاهما من أصحاب الصادق عليه السلام وقد عُرفا بقوة الحجة والدليل والبرهان في مقابل خصوم أهل البيت عليهم السلام، ومن الطبيعي أن يكون يونس بعد تتلمذه على الأئمة الطاهرين عليهم السلام وكبار فقهاء مدرسة الوحي والإمامة أن يكون شخصية عظيمة وذا فقه وعلم ومعرفة عميقة، وكان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى الاختلاف الفكري بينه وبين القميين وعلي بن حديد وأتباعه، وهنا يرشد الإمام الرضا عليه السلام يونس إلى الحديث مع مراعاة تفاوت درجات عقول الناس، كما لاحظنا ذلك عندما ابتدأ الإمام الرضا عليه السلام يونس بعد أن خرج البصريون الذين جاؤوا ذامين وشاكين يونس عند الإمام عليه السلام حيث قال له الإمام عليه السلام: يا يونس وما عليك مما يقولون إذا كان إمامك عنك راضياً! يا يونس حدث الناس بما يعرفون، واركهم مما لا يعرفون، كأنك تريد أن تكذب على الله في عرشه^(١٢)، وفي رواية أخرى يأمر الإمام الرضا عليه السلام يونس بمراعاة مستويات عقول الناس ومراتب إدراكهم للأمور، فمن أبي محمد الفضل بن شاذان، قال حدثني أبو جعفر البصري، وكان ثقة فاضلاً صالحاً، قال، دخلت مع يونس بن عبدالرحمن على الرضا عليه السلام فشكا إليه ما يلقي من أصحابه من الوقعية! فقال الرضا عليه السلام: دارهم فإن عقولهم لا تبلغ^(١٣).

كما أن الإمام الكاظم عليه السلام كان يأمر يونس أن يراعي تفاوت الأفهام والعقول، لأن ذلك يخفف من حدة وشدة الاختلاف بينه وبين الفئات الاجتماعية وكذا الفقهاء التابعين

أصحاب الإجماع.. قراءة فكرية وتاريخية للتشيع

مدرسة الوحي والإمامة، فقد ذكر يونس أن الإمام الكاظم عليه السلام قال له: يا يونس! أرفق بهم فإن كلامك يدق عليهم، قلت: إنهم يقولون لي: زنديق! قال لي عليه السلام: وما يضرك أن يكون في يدك لؤلؤة يقول الناس: هي حصاة، وما كان ينفعك أن يكون في يدك حصاة فيقول الناس: لؤلؤة^(١٤).

لكن بعض القميين وعلي بن حديد قد رجعوا عن بث تلك الصورة المشوهة عن يونس، فقد ذكر الفضل بن شاذان أن أحمد بن محمد بن عيسى تاب واستغفر الله من وقيعته في يونس لرؤية رآها، وقد كان علي بن حديد يظهر في الباطن الميل إلى يونس وهشام^(١٥)، وهنا يقول الفضل أن علياً كان يميل في الباطن ليونس وهشام، وهو أمر يحمل دلالة مهمة وهي أن تلك الأقوال التي كان يطلقها علي لم تكن عن إيمان واقتناع، بل قد تكون لمصلحة أمنية تقتضي ابتعاده هو وأتباعه من العاملين والفقهاء عنه، فعند وصول تلك الأقوال عنه تجاه تلك الجماعة التي غضبت عليها السلطة فأخذت تطارد هشام ويونس كان أحد أصحابه المقربين بل كان هشام ويونس يشكلان فريقاً واحداً كما نلاحظ ذلك من خلال الروايات التي يسأل فيها عن يونس وهشام، حيث توحى بالتشابه الكبير في نظرة البعض إليهما، هنا كان من الحكمة أن تصل للسلطة وجواسيسها أن علياً وأتباعه لا يرتبطون لا بهشام ولا بيونس.

ولعل أحد أسباب تشبيه يونس بسلمان الفارسي (ت ٣٥هـ/٦٥٥م) هو ما كان يمتاز به سلمان من العلم والمعرفة اللذين جعلاه الشخصية الأولى في أصحاب الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله، بعد علي بن أبي طالب عليه السلام، وعندما سئل علي عليه السلام عن سلمان قال: امرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، عَلم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر، وكان بحرراً لا ينزف..^(١٦)، وقد جاء مدح يونس مشابهاً لما مُدِّح به سلمان الفارسي، فعن علي بن محمد القتيبي، قال حدثني الفضل بن شاذان، قال سمعت الثقة يقول سمعت الرضا عليه السلام يقول: يونس بن عبدالرحمن في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه^(١٧).

ويبدو أن تأثير يونس كان كبيراً في الجوانب العلمية والمعرفية والاجتماعية، ولذا كانت شخصيته تثير تساؤلات عديدة حتى بعد وفاته بأكثر من عشرين سنة، حيث تعدد السؤال عنه من قبل فقهاء مدرسة الوحي والإمامة، فكان بعضهم يسأل الإمام الجواد عليه السلام (١٩٥-٢٢٠هـ/٨١١-٨٣٥م) وبعض آخر يعرض كتب يونس على الإمام العسكري عليه السلام (٢٣١-٢٦٠هـ/٨٤٥-٨٧٣م)، وكان الجواب ثناءً كبيراً على شخصية يونس وعلى ما قام به خدمة للحق وأتباعه.

عن داود بن القاسم، قال، قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في يونس؟ قال: من يونس؟ قلت بن عبدالرحمن، قال: لعلك تريد مولى بني يقطين؟ قلت: نعم، فقال: رحمه الله فإنه كان على ما نحب^(١٨).

ويكتب عبد العزيز المهدي أحد أصحاب الإمام الجواد عليه السلام يسأل عن يونس، فيأتي جواب الإمام عليه السلام محملاً بدلالات كثيرة، أهمها أنه يبرز حالة اجتماعية عامة لا زالت سائدة حتى بعد مضي سنين تنظر ليونس نظرة مشوهة بعيدة عن الحقيقة، يقول عبدالعزيز: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام ما تقول في يونس بن عبدالرحمن؟ فكتب إليّ بخطه: أحبُّه وترحم عليه وإن كان يخالفك أهل بلدك^(١٩).

وبالطبع عندما يتم السؤال عن يونس، فإن ذلك سوف يتركز على العديد من الأمور، كالصلاة خلفه وكفقهه وعلومه التي يبيتها في المجتمع الإسلامي، وكتبه التي يتداولها العلماء والفقهاء، لأن يونس كان مشهوراً بكثرة المؤلفات، حيث بلغت الكتب التي ألفها أكثر من ٣٠ كتاباً، وقد أورد النجاشي ثبناً بأسماء هذه الكتب.

مؤلفات يونس وكتبه:

ذكر النجاشي أن ليونس تصانيف كثيرة منها:

- ١- كتاب السهو.
- ٢- كتاب الأدب والدلالة على الخير.
- ٣- كتاب الزكاة.
- ٤- كتاب جوامع الآثار.
- ٥- كتاب الشرائع.
- ٦- كتاب الصلاة.
- ٧- كتاب العلل الكبير.
- ٨- كتاب اختلاف الحج.
- ٩- كتاب الاحتجاج في الطلاق.
- ١٠- كتاب علل الحديث.
- ١١- كتاب الفرائض.
- ١٢- كتاب الفرائض الصغير.
- ١٣- كتاب الجامع الكبير في الفقه.
- ١٤- كتاب التجارات.
- ١٥- كتاب تفسير القرآن.
- ١٦- كتاب الحدود.
- ١٧- كتاب الآداب.
- ١٨- كتاب المثالب.
- ١٩- كتاب علل النكاح وتحليل المتعة.

٢٠. كتاب البداء.
٢١. كتاب نوادر البيوع.
٢٢. كتاب الرد على الغلاة.
٢٣. كتاب ثواب الحج.
٢٤. كتاب النكاح.
٢٥. كتاب المتعة.
٢٦. كتاب الطلاق.
٢٧. كتاب المكاسب.
٢٨. كتاب الوضوء.
٢٩. كتاب الديات.
٣٠. كتاب البيوع والمزارعات.
٣١. كتاب يوم وليلة.
٣٢. كتاب اللؤلؤة في الزهد.
٣٣. كتاب الإمامة.
٣٤. كتاب فضل القرآن^(٢٠).

وبالطبع كانت هذه الكتب متداولة لدى الفقهاء والعلماء خصوصاً التابعين لمدرسة الوحي والإمامة، لكن وللأسف الكثير منها أصبح اسماً بعد عين والسبب يعود لتلك الغارات التي استهدفت علوم أهل البيت عليهم السلام بالإتلاف والتضييع والمحاربة، حيث كانت مكاتب علماء الشيعة غالباً ما يطالها الحرق والإتلاف كما حدث أيام غارة المغول على بغداد، وقبل ذلك دخول السلاجقة الذين تعصبوا لمدرسة الرأي، أو ما عرف بمدرسة السنة والجماعة، فقد أحرق السلاجقة الآلاف من الكتب التي احتوتها مكتبة الشيخ الطوسي رحمته الله^(٢١).

تعرضت هذه الكتب إلى حملة هجوم قادتها التيارات والاتجاهات الفكرية المخالفة في الكوفة وبغداد والبصرة، وقد رويت بعض النصوص التي تشكك في صدقية ما فيها، لكن الفقهاء وعلماء الرجال شككوا في صحة هذه الرويات خصوصاً أن بعضها لا يمكن أن يصدر كما -قال الكشي- عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، لكن بالطبع مثل هذه النصوص أثرت أو أدخلت الشك لدى البعض في صحة ما يرويه يونس وما هو موجود في كتبه، من ذلك ما نقله عبدالله بن جعفر الحميري، قال، قال لنا أبو هاشم داوود بن القاسم الجعفري رحمته الله: عرضت على أبي محمد صاحب العسكر عليه السلام: كتاب يوم وليلة ليونس، فقال لي: تصنيف من هذا؟ فقلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: أعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة^(٢٢).

توفي يونس في حياة الإمام الرضا عليه السلام، في مدينة الرسول صلوات الله عليه وآله، ودفن في بقية الغرقد، وقد عدَّ الإمام الرضا عليه السلام هذا الأمر دلالة على حب الله ليونس، لأنه ختم حياته مجاوراً

لرسول الله ﷺ، فقد نقل الحسن بن علي بن فضال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: انظروا إلى ما ختم الله ليونس، قبضه بالمدينة مجاوراً لرسول الله ﷺ. (٣٣).

تلاميذ يونس والرواة عنه:

مع كثرة الذين أخذ عنهم يونس وتلمذ عليهم، حتى أصبح يونس ذا علم جم وشخصية عظيمة في المجتمع العراقي وبالأخص في الكوفة، لكن ما يلفت النظر هو قلة الذين رووا عنه وتلمذوا عليه، ولعل أحد أسباب ذلك يرجع لحملة التشويه التي أثيرت حول شخصيته وتحركه، ومع كثرة الكتب التي ألفها إلا أن الروايات التي وقع في إسنادها لا تناسب حجم الشخصية وكثرة الكتب التي ألفها، فقد ذكرت الكتب الرجالية التي تعرضت لترجمة يونس أنه وقع في إسناد روايات بلغت مئتين وثلاثة وستين مورداً، أما تلاميذه فقد بلغ عددهم ما يقارب خمسة وعشرين شخصاً، وهم:

- ١- أبو عبدالله البرقي.
- ٢- محمد بن أبي عمير.
- ٣- أحمد بن أبي عبدالله.
- ٤- أحمد بن الفضل.
- ٥- أحمد بن هلال.
- ٦- إسماعيل بن مرار.
- ٧- الحسن بن إبراهيم.
- ٨- الحسين بن علي.
- ٩- الحسين بن عمر بن يزيد.
- ١٠- شاذان بن خليل النيسابوري.
- ١١- صالح بن أبي حماد.
- ١٢- صالح بن سعيد.
- ١٣- العباس بن معروف.
- ١٤- العباس بن موسى البغدادي.
- ١٥- العباس بن موسى الوراق.
- ١٦- عبدالجبار بن المبارك.
- ١٧- عبدالله بن الصلت.
- ١٨- محمد بن أسلم الجبلي.
- ١٩- محمد بن خالد.
- ٢٠- محمد بن الخطاب الواسطي.

٢١- محمد بن سليمان.

٢٢- محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني.

٢٣- مسمع.

٢٤- منيع بن الحجاج.

٢٥- موسى بن جعفر.

محمد بن أبي عمير.. فقه وجهاد

من الشخصيات الفقهية التي أثرت في تكوين الفقه لدى مدرسة الوحي والإمامة، هو محمد بن زياد بن عيسى الأزدي (ت ٢١٧هـ) المعروف بابن أبي عمير، الذي يُعد الشخصية الثانية في الطبقة الثالثة من أصحاب الإجماع، وقد أدرك الإمام الكاظم عليه السلام لكنه لم يرو عنه شيئاً، وقال النجاشي: بل روى عن الكاظم عليه السلام، حيث يوجد له روايات في كتاب تمام، وروى عن الإمام الرضا عليه السلام والإمام الجواد عليه السلام.

اتفق علماء الرجال على وثاقته فقد قال العلامة المامقاني عند بحثه عنه: لا خلاف في وثاقته ولا غمز فيه بوجهه^(٢٤)، لكن آراءهم تباينت في نسبه، مع أنهم اتفقوا على كونه مولى، فقال النجاشي: إنه من موالي المهلب بن أبي صفرة (ت ٨٣هـ / ٧٠٢م)، وهو أحد أتباع مصعب بن الزبير حيث ولاه البصرة، كما كان والياً لبني أمية على خراسان من قبل الخليفة الأموي عبدالمك بن مروان (٢٦-٨٦هـ / ٦٤٦-٧٠٥م)، ونسب كذلك إلى بني أمية، ويبدو أن هذه النسبة لكونه ينسب لأحد ولاتهم، لكن المعروف والمشهور في نسبه إلى الأزدي القبيلة المعروفة في العراق.

نشأ ابن أبي عمير رضي الله عنه في بغداد وأقام بها، وكان شخصية معروفة عند جميع المذاهب وله احترام ومكانة اجتماعية وعلمية كبيرة، كما أنه كان تاجراً يبيع السابري وهو نوع من الأقمشة التي راجت في ذلك العصر، وهو من أجود الأنواع التي راجت حيث يمتاز بكونه قماشاً رقيقاً يشتريه عليه القوم، ولذا ذكر أن ابن أبي عمير كان غنياً جداً حيث وافته المنية وعنده ٥٠٠٠٠٠ درهم، وقد ساعده على ذلك كونه في بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

اختلف علماء الرجال في كون ابن أبي عمير متعدد أو هو واحد، وسبب ذلك هو وجود روايات ينقلها ابن أبي عمير عن الإمام الصادق عليه السلام، وسوف نورد أدلة كلا الرأيين لنرى أيهما أقرب إلى الصحة.

الرأي الأول: الوحدة ونفي التعدد:

يذهب لهذا الرأي عدة من علماء الرجال والفقهاء وقد نسب تقي الدين بن داود الحلبي (ت ٧٠٧هـ) ذلك إلى الشيخ الطوسي، كما استظهر الأردبيلي الاتحاد، لكن العلامة المامقاني

ينفي هذه النسبة إلى الشيخ بعدم الوجدان، ومع نفيه ذلك يذهب إلى كون ابن أبي عمير قد روى عن الصادق (عليه السلام)، وعمدة الأدلة هو:

١- وجود الرواية في الكافي وكتاب الشيخ:

ففي باب أوقات صلاة الجمعة والعصر من الكافي يورد هذه الرواية التي يرويها ابن أبي عمير عن الإمام الصادق (عليه السلام) وهي بهذا السند: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن خالد عن القسم بن عروة عن محمد بن أبي عمير قال سألت أبا عبدالله (عليه السلام)، فإنه بمقتضى لفظه نص في لقائه الإمام الصادق (عليه السلام) وروايته عنه ولا استبعاد في ذلك بحسب التاريخ حتى يكشف عن الإرسال لأن آخر زمان الصادق (عليه السلام) سنة مائة وثمان وأربعين وابن أبي عمير مات سنة مائتين وسبع عشر وهي قبل وفاة الجواد (عليه السلام) بثلاث سنين وبين التاريخين تسع وستون سنة فإذا أضيف إلى ذلك ثمان عشر سنة ليكون أدرك الصادق (عليه السلام) ثلاث سنين بعد بلوغه، بلغت سبعة وثمانين سنة وذلك عمر غير مستنكر، فلا داعي للالتزام بالإرسال^(٢٥).

ثم يناقش المامقاني بعد ذلك القول بكون السند مقلوب وينفي القلب في السند، إذ لا وجه لما تهكم به بعضهم من القلب في السند بأن يكون محمد هذا مؤخراً عن تقديم والقاسم مقدماً والأصل كون السند هكذا: عن محمد بن أبي عمير عن القاسم بن عروة قال سألت أبا عبدالله (عليه السلام) لأن ذلك يؤدي للوقوع في محاذير عديدة منها:

أ- إن فتح هذا الباب يستدعي رفع اليد عن أصالة عدم السهو وعدم الغفلة وغيرهما من الأصول العقلائية من دون مقتضى ولا قرينة.

ب- أنهم ذكروا أن ابن أبي عمير يروي عن القاسم بن عروة ولم يذكروا رواية القاسم بن عروة عنه، فكذا ذكروا رواية محمد بن خالد عن القاسم بن عروة ولم يذكروا روايته عن ابن أبي عمير، فدلالة ما ذكروه على تأخر القاسم هنا عن محمد معارضة بدلالة وجود محمد بن خالد في السند على كون القاسم قبل ابن أبي عمير لتحقق رواية محمد بن خالد عنه^(٢٦).

ومما يؤيد القول بأن محمد بن أبي عمير روى عن الصادق (عليه السلام) هو إمكانية لقائه بالإمام خصوصاً مع القول بكونه أكبر عمراً من يونس بن عبدالرحمن الذي قال أصحاب الكتب الرجالية أنه رأى الصادق (عليه السلام) لكنه لم يرو عنه، فقد نقل نصر بن الصباح أن محمد بن أبي عمير أسن من يونس^(٢٧).

الرأي الثاني: التعدد ونفي الوحدة:

يميل لهذا الرأي ويقويه ويورد الأدلة عليه السيد الخوئي في كتابه معجم رجال

الحديث، حيث يبحثه تحت عنوان محمد بن أبي عمر (أبي عمرة) (أبي عمير)، البزاز بياع السابري: الذي يروي عنه الحسن بن محمد بن سماعة، ويعده من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ويورد الروايات التي وقع محمد هذا في سندها والمروية عن الصادق عليه السلام، وفيما يلي الأدلة على التعدد.

الدليل الأول: كثرة الروايات التي يرويها محمد بن أبي عمير هذا عن الصادق عليه السلام بلا واسطة، والقول بالإرسال في الروايات غير ممكن.

الدليل الثاني: أن محمد بن أبي عمير البزاز بياع السابري هذا توفي في حياة الإمام الكاظم عليه السلام، ومحمد بن زياد توفي في حياة الإمام الجواد عليه السلام سنة ٢١٧هـ.

الدليل الثالث: عدم إمكانية رواية الحسن بن محمد بن سماعة عن البزاز هذا، لأن ابن أبي عمير الذي هو من أصحاب الصادق عليه السلام كما قلنا توفي في حياة الكاظم عليه السلام والحسن بن محمد بن سماعة توفي سنة ٢٦٣هـ، فيكون الحسن قد روى عن أبي أحمد محمد بن زياد.

يقول السيد الخوئي: إن الشيخ قدس سره ذكر أن الحسن بن سماعة يروي عن محمد بن أبي عمير هذا، ولكن ما ذكره قدس سره غير قابل للتصديق، فإن الحسن بن محمد بن سماعة، وإن كان يمكن أن يروي عن أصحاب الصادق عليه السلام وقد وقع ذلك في غير مورد، إلا أنه لا يمكن روايته عن محمد بن أبي عمير هذا بخصوصه، فإنه قد مات في حياة الكاظم عليه السلام على ما عرفت، فلنفرضه في آخر سنة من حياة الكاظم عليه السلام، وهي سنة مائة وثلاث وثمانين، فكيف يمكن أن يروي عنه الحسن بن محمد بن سماعة المتوفى سنة مائتين وثلاث وستين، والذي نطمئن به أن الأمر اشتبه على الشيخ قدس سره فإن الحسن بن محمد بن سماعة يروي عن محمد بن أبي عمير، زياد بن عيسى، لا هذا^(٢٨).

الدليل الرابع: يؤكد التعدد ما تقدم عن الكشي في ترجمة زرارة بن أعين بإسناده، عن بنان بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن أبي عمير، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال كيف تركت زرارة؟ فقلت: تركته لا يصلي العصر حتى تغيب الشمس، فقال: فأنت رسولني إليه فقل له فليصلي في مواقيت أصحابه قال: فأبلغته ذلك، فقال: أنا والله أعلم بأنك لم تكذب عليه، ولكنه أمرني بشيء فأكرهه أن أدعه^(٢٩)، فإن هذه الرواية صريحة في أن ابن أبي عمير الراوي عن هشام مغاير لمحمد بن أبي عمير الذي يروي عنه هشام بن سالم، وضعف السند في مثل المقام لا يضر^(٣٠).

السلطة العباسية تسجن محمد بن زياد عليه السلام:

محمد بن أبي عمير شخصية بارزة في المجتمع العراقي، فقد كانت علاقاته متشعبة، فلكونه كونه يمارس التجارة فقد كانت علاقاته التجارية واسعة سواء مع طبقة التجار أو

الفئات الأخرى في المجتمع العراقي، كالفقهاء الذين التف حوله الكبار منهم وتتلذذ على يده العديد، وكذلك علاقاته واسعة مع المعارضة السياسية والثورية التي تمارس العمل السري، ولكل ذلك كان من الطبيعي أن ترصد السلطة العباسية عبر عيونها حركة الفقيه الكبير في عاصمة الخلافة العباسية.

مرت حياة محمد بن أبي عمير بفترتين اختلفت ملامحهما السياسية والأمنية، كانت الفترة الأولى في زمن هارون العباسي الخليفة المستبد الذي جعل الهدف الأساس لسياسته هو القضاء على الحركة المعارضة والتي تمثلت في اتجاهات عديدة كان أحدها العلويون، فقد أقلقتم حركتهم وثوراتهم هارون فأصبح يطارد القيادات التي تقف خلفها، ولم يدخر وسعاً في اتباع أي أسلوب في سعيه للقضاء عليها، فكان القتل والتشريد والحبس في الطوامير تحت الأرض، ودفن المعارضين وهم أحياء سواء عبر هدم دورهم عليهم، أم من خلال وضعهم في حفر سجنوا فيها وعندما يحين الوقت يأمر بدفنهم فيها، وغيرها الكثير من الأساليب الإرهابية التي تعرضت لها الروايات التاريخية.

أما المرحلة الثانية فتميزت ببعض الهدوء والراحة من ملاحقة السلطة، وهي الفترة التي تلت وفاة هارون العباسي، وبالأخص بعد أن استتب للمأمون العباسي الحكم، ويبدو أن محمد بن زياد قد ناله السجن في كلا الفترتين، وإن اختلفت الأسباب في الفترة الثانية عن الأولى.

سجن محمد بن أبي عمير زياد في عهد هارون وقد ناله من الشدة والعذاب الكثير، وكان يتولى الجلادون بقيادة السندي بن شاهك اليهودي تعذيبه بحضور هارون مما يدل على الأهمية التي كان يوليها لشخصية محمد بن زياد، وأهمية ما يعرفه عن حركة المعارضة السياسية والثورية، قال الفضل بن شاذان: سُعي بمحمد بن أبي عمير زياد إلى السلطان انه يعرف أسامي عامة الشيعة بالعراق، فأمره السلطان أن يسميهم! فامتنع، فجرد وعلق بين العقارين وضرب مائة سوط، قال الفضل فسمعت ابن أبي عمير يقول: لما ضُربت فبلغ الضرب مائة سوط، أبلغ الضرب الألم إليّ، فكدت أن أُسمي، فسمعت نداء محمد بن يونس بن عبدالرحمن يقول: يا محمد بن أبي عمير اذكر موقفك بين يدي الله تعالى، فتقويت بقوله فصبرت ولم أخبر، والحمد لله، قال الفضل: فأضر به في هذا الشأن أكثر من مائة ألف درهم^(٢١).

من خلال تحليل هذا النص يمكننا أن نصل إلى المعطيات التالية:

- ١- أن السجن كان سببه وهدفه معرفة أسامي عامة الشيعة في العراق، وذلك لسجنهم أو مراقبة تحركاتهم، ولا يمكن أن يقصد بعامة الشيعة العوام الذين لم يكن أكثرهم مجهولين، بل القصد هم أولئك الذين يقودون المعارضة.
- ٢- المكانة الكبيرة التي يحظى بها محمد عند الشيعة حيث كان على معرفة وعلم

بالشيعة، فإن كان المقصود بعامة الشيعة هم عوام الناس فهو يدلل على المكانة الاجتماعية، لكن بالطبع المقصود هو علمه بقيادات العمل السياسي والعسكري، لأن بغداد كان فيها الآلاف من عوام الشيعة ولا يتصور معرفته بهم جميعاً.

٣- علم المؤسسة الأمنية والسياسية السلطانية بمكانة محمد بن أبي عمير، لأنها حددت التهمة وهو معرفته بعامة الشيعة.

٤- اهتمام هارون العباسي بقضية محمد ومباشرته بنفسه عملية التحقيق، كما نلحظ ذلك من قول الفضل: فأمره السلطان أن يسميهم فامتنع^(٣٣)، وقد ضرب مائة خشبة وعشرين أمام هارون، وتولى ضربه السندي بن شاهك على التشيع^(٣٣).

٥- سجن مجموعة من فقهاء وعلماء مدرسة الوحي والإمامة معه، وقد صرح بأحدهم وهو محمد بن يونس بن عبدالرحمن، الفقيه الورع، فقوله: سمعت، يدل على كونه قد حبس معه، وسبب السجن أمران:

أ- اتهامهم بموالاتة أهل البيت عليهم السلام، وكانت هذه بحد ذاتها تسبب السجن أو القتل في زمن هارون وغيره.

ب- معرفة عامة الشيعة وبالأخص قيادات العمل السياسي والعسكري.

٦- عمق إيمان محمد بن أبي عمير ومحمد بن يونس، حيث لم يرضخا لرغبات السلطة العباسية في الإفصاح بأسامي عامة الشيعة، لأن ذلك قد يؤدي إلى قتلهم أو سجنهم وتعذيبهم، مع شدة الألم الذي عانياه من التعذيب والسجن، فقد سجن محمد بن أبي عمير أربع سنوات، صادرت فيها السلطة الكثير من أمواله وممتلكاته، وبالأخص ثروته العلمية من كتب جمع فيها ما سمعه أو رواه عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وقد ذكر النجاشي أن أخته دفنت كتبه في حالة استتاره وكونه في الحبس أربع سنين، فهلكت الكتب، وقيل: بل تركتها في غرفة فسال عليها المطر فهلكت فحدث من حفظه، ومما كان سلف له في أيدي الناس، فلهذا أصحابنا يسكنون إلى مراسيله^(٣٤).

٧- غنى محمد بن أبي عمير، فمع أن السلطة صادرت كل أمواله إلا أنه بقي له ما يفدي به نفسه للخروج من السجن.

٨- اهتمام السلطة بالمال، حيث سال لعاب المتنفذين لما كان يملك، فلم يتخلص من السجن إلا بعد أن دفع ١٢١ ألف درهم.

أما المرة الثانية التي دخل فيها محمد بن أبي عمير السجن، فقد كانت بعد الغدر بالإمام الرضا عليه السلام، من قبل المأمون العباسي، حيث يقول نصر بن الصباح: ذكر أن محمد بن أبي عمير أخذ وحبس، وأصابه من الجهد والضيق والضرب أمر عظيم، وأخذ كل شيء، وكان صاحبه المأمون، وذلك بعد موت الرضا عليه السلام^(٣٥)، ويبدو أن السجن هذه المرة لم يكن سببه الرغبة في معرفة أسامي عامة الشيعة، بل رغبة السلطة في الاستفادة

من مكانة ووجاهة محمد بن أبي عمير عبر توليته أمر القضاء الذي يبدو أن محمداً قد رفضها، فأثار غضب المأمون، فحبسه وضيّق عليه.

يقول الفضل بن شاذان: أخذ يوماً شيخي بيدي وذهب بي إلى ابن أبي عمير، فصعدنا إليه في غرفة، وحوله مشايخ له يعظمونه، فقلت لأبي: من هذا؟ قال: هذا ابن أبي عمير، قلت: الرجل الصالح العابد؟ قال: نعم، وسمعه يقول: ضُرب ابن أبي عمير مائة خشبة وعشرين خشبة، بأمر هارون لعنه الله، تولى ضربه السندي بن شاهك على التشيع، وحبس فأدى مائة وواحداً وعشرين ألفاً حتى حُلِّيَ عنه، فقلت: وكان متمولاً؟ قال: نعم كان رب خمسمائة ألف درهم^(٣).

الفكر السياسي عند محمد بن زياد رضي الله عنه:

في كتاب المعيشة في المجلد الخامس من الكافي ينقل الكليني رضي الله عنه (ت ٣٢٩هـ) تحت عنوان «عمل السلطان وجوائزهم» خمسة عشر حديثاً روى أغلبها عن الإمام الصادق عليه السلام وحديثين عن أبيه الباقر عليه السلام، وهي بمجموعها تنهى الموالين لمدرسة الوحي والإمامة عن العمل في وظائف الدولة الأموية والعباسية لكونهما أبرز مصاديق الظالم الذي ورد النهي من الله ورسوله بالابتعاد عنه وعدم إعانتة في ظلمه، وبالطبع يعد العمل في دواوين السلطات الظالمة من أبرز مصاديق الإعانة، لكن ما يلفت النظر في الروايات التي ينقلها الكليني رضي الله عنه، هو أن ثلثها قد دخل ابن أبي عمير في سندها وعد من رواتها.

وتتضمن هذه النصوص فكراً سياسياً وموقفاً معارضاً من الأنظمة الاستبدادية، فهي بمجموعها تنفي المشروعية عن هذه السلطات التي استبدت بالأمر وتمادت في الظلم تجاه أبناء الأمة، وكان بقائها يعتمد على سياسة البطش والتكيل بالمفكرين والعلماء وخصوصاً أصحاب وأتباع مدرسة الوحي والإمامة، وتوضح هذه النصوص الفكر السياسي الذي تبنته المعارضة الشيعية وخصوصاً في حياة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

وقد استفاد الفقهاء من هذه النصوص أصالة حرمة العمل في وظائف السلطات الظالمة، لأن السلطة في فقه مدرسة الوحي والإمامة تستمد شرعيتها من أمرين:

١- قبول الإمام المعصوم بالسلطة ودعمه لها، وفي حال غيابه تكون بإذن الفقيه الجامع للشرائط.

٢- رضا الأمة والمجتمع بها، وتفقد السلطة كل شرعيتها إذا فقدت هذين الأمرين، وبالأخص عندما تفقد رضا الأمة، وتمارس الاستبداد والكبت لإرادة الناس، وعندما نبث عن هذين الشرطين نجدهما مفقودين لدى السلطة الأموية والعباسية، وكانتا تمارسان كل أنواع القهر والإذلال لأبناء الأمة، وبطبيعة الحال لم يكن فكر الإسلام المتمثل في مدرسة الوحي والإمامة قادراً على التفاعل مع هذه الأنظمة، لأنها في نشأتها وحركتها ومنطلقها

مخالفة للأسس والأصول الإسلامية، وهذا ما توضحه النصوص التالية التي رواها محمد بن أبي عمير رضي الله عنه وشكلت لديه عقيدة سياسية تجاه كل الأنظمة التي تفتقد الشرعية. ولعل هذه النصوص وغيرها هي التي شكلت لديه قناعة التحرك للتغيير والإصلاح، وهي التي جعلته يتخذ موقف الرفض تجاه سلطة هارون العباسي الذي سجنه ومارس أشد أنواع التعذيب تجاهه، كما أن هذه الخلفية السياسية الدينية هي التي جعلته يرفض منصب القضاء عندما عرضه عليه المأمون العباسي وكان ذلك الرفض سبباً لسجنه ومصادرة كل ممتلكاته.

الفكر السياسي والنص الديني:

هذه مجموعة من النصوص التي شكل بعضها الوعي السياسي لدى محمد بن أبي عمير رضي الله عنه، بل وضعت الأساس الفكري والسياسي للفقهاء الذين جاؤوا بعده، ونستعرضها هنا دون أن نعلق عليها.

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، ومحمد بن حمران، عن الوليد بن صبيح قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فاستقبلني زارة خارجاً من عنده، فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا وليد أما تعجب من زارة سألتني عن أعمال هؤلاء أي شيء كان يريد أيريد؟! أن أقول له: لا، فيروي ذلك عني. ثم قال: يا وليد متى كانت الشيعة تسأل عن أعمالهم إنما كانت الشيعة تقول: يؤكل من طعامهم ويشرب من شرابهم ويستظل بظلهم، متى كانت الشيعة تسأل عن هذا ^(٢٧).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أعمالهم فقال لي: يا أبا محمد! لا، ولا مدة قلم، إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله، أو قال: حتى يصيبوا من دينه مثله - الوهم من ابن أبي عمير ^(٢٨).

ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم قال: كنت قاعداً عند أبي جعفر عليه السلام على باب داره بالمدينة فنظر إلى الناس يمرون أفواجاً فقال لبعض من عنده: حدث بالمدينة أمر؟ فقال: جعلت فداك ولي المدينة وال فغدا الناس يهنئونه، فقال: إن الرجل ليغدى عليه بالأمر يُهنأ به وإنه لباب من أبواب النار ^(٢٩).

ابن أبي عمير، عن بشير، عن ابن أبي يعفور قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له: أصلحك الله إنه ربما أصاب الرجل منا الضيق أو الشدة فيدعى إلى البناء بينيه أو النهر يكرهه أو المسناة يصلحها فما تقول في ذلك؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أحب أني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء وإن لي ما بين لابتيها لا ولا مدة بقلم، إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن داود بن زربي قال: أخبرني مولى لعلي بن الحسين عليه السلام قال: كنت بالكوفة فقدم أبو عبد الله عليه السلام الحيرة فأتيته فقلت له: جعلت فداك لو كلمت داود بن علي أو بعض هؤلاء، فأدخل في بعض هذه الولايات، فقال: ما كنت لأفعل. قال: فانصرفت إلى منزلي فتفكرت فقلت: ما أحسبه منعي إلا مخافة أن أظلم أو أجور، والله لأتينه ولأعطينه الطلاق والعتاق والأيمان المغلظة ألا أظلم أحداً ولا أجور ولأعدلن، قال: فأتيته، فقلت: جعلت فداك إني فكرت في إياك عليّ فظننت أنك إنما منعتني وكرهت ذلك مخافة أن أجور أو أظلم، وإن كل امرأة لي طالق وكل مملوك لي حر عليّ وعليّ إن ظلمت أحداً أو جرت عليه وإن لم أعدل؟ قال: كيف قلت؟ قال: فأعدت عليه الأيمان فرفع رأسه إلى السماء فقال: تناول السماء أيسر عليك من ذلك^(٤١).

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن جهم بن حميد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أما تغشى سلطان هؤلاء؟ قال، قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: فراراً بديني، قال: فعزمت على ذلك؟ قلت: نعم، فقال لي: الآن سلم لك دينك^(٤٢).

أساتذة محمد بن زياد ومن أخذ عنه:

اهتم محمد بن أبي عمير رضي الله عنه بعلوم أهل البيت عليهم السلام، وسعى بكل جهد لحفظها وتعليمها، ويلاحظ المتتبع لسيرته شدة اهتمامه بحفظ أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وقد قام بكتابتها ليستفيد منها الفقهاء والعلماء، وبلغت كتبه التي ألفها ٩٤ مصنفاً، لكنها تلفت عندما سجن في عهد هارون العباسي، والمأمون، حيث قامت أخته بدفن هذه الكتب وتلفت بسبب طول مدة سجنه وهي أربع سنوات، وقيل: إن أخته خبأتها في غرفة فسال عليها المطر وتلفت، ووصل إلينا أسماء بعض هذه الكتب، وهي كما ذكرها النجاشي عند تعرضه لسيرته.

١- كتاب المغازي.

٢- كتاب الكفر والإيمان.

٣- كتاب الاحتجاج في الإمامة.

٤- كتاب الحج.

٥- كتاب فضائل الحج.

٦- كتاب البداء.

٧- كتاب المتعة.

٨- كتاب الاستطاعة.

- ٩- كتاب الملاحم.
- ١٠- كتاب يوم وليلة.
- ١١- كتاب الصلاة.
- ١٢- كتاب مناسك الحج.
- ١٣- كتاب الصيام.
- ١٤- كتاب اختلاف الحديث.
- ١٥- كتاب المعارف.
- ١٦- كتاب التوحيد.
- ١٧- كتاب النكاح.
- ١٨- كتاب الطلاق.
- ١٩- كتاب الرضاع.

وقد أشاد الكثير ممن تعرض لسيرة محمد بن أبي عمير رضي الله عنه بعلمه وورعه وتقواه، وقد وصفه يونس بن عبدالرحمن رضي الله عنه بأنه «بحر طارس بالموقف والمذهب»^(٤٣)، وقد كان له مجلس للدرس يجتمع فيه الكثير من طلبة العلم، بل العديد من فقهاء مدرسة الوحي والإمامة لينقلوا ويتلقوا ما سمعه من الأئمة عليهم السلام وما رواه عن أصحابه، وكان هذا المجلس في منزله في بغداد، وهذا الفضل بن شاذان يصف لنا كيف كان مجلسه وكيف هي تقواه وورعه وعبادته، وهكذا كان أصحاب الأئمة الطاهرين عليهم السلام مثلاً للطهارة والنقاوة والزهد، يقول: دخلت العراق فرأيت واحداً يعاتب صاحبه، ويقول له: أنت رجل عليك عيال وتحتاج أن تكتسب عليهم، وما آمن أن تذهب عيناك لطول سجودك! فلما أكثر عليه، قال: أكثرت عليّ ويحك، لو ذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن أبي عمير، ما ظنك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما رفع رأسه إلا عند زوال الشمس، وسمعته يقول: أخذ يوماً شيخاً بيدي وذهب بي إلى ابن أبي عمير، فصعدنا إليه في غرفة وحوله مشايخ يعظمونه ويجلونه، فقلت لأبي: من هذا؟ قال: هذا ابن أبي عمير، قلت: الرجل الصالح العابد؟ قال: نعم^(٤٤).

ولا بد أن نورد أسماء من أخذ عنهم حتى يمكننا أن نعرف أبعاد شخصية ابن أبي عمير، وكيفية تقربه للدور الذي اضطلع به في بناء المنظومة المعرفية لدى مدرسة الوحي والإمامة، وسوف نستعرض هؤلاء مع بعض التوضيح لبعضهم، وهم:

- ١- أبو الأعز النخاس.
- ٢- ابراهيم بن عيسى الخزاز.
- ٣- أبو بصير.
- ٤- أبي جعفر الشامي.

- ٥- سليم الفراء.
- ٦- أبو علي الحراني.
- ٧- أبو المغراء.
- ٨- عمر ابن أذينة.
- ٩- عبدالله ابن مسكان.
- ١٠- أبان بن عثمان الأحمر.
- ١١- إبراهيم بن أبي زياد الكرخي.
- ١٢- إبراهيم بن عبد الحميد الأسدي.
- ١٣- إبراهيم الخزاز.
- ١٤- إسحاق بن عبد الله الأشعري.
- ١٥- إسحاق بن عمار بن حيان الساباطي.
- ١٦- إسحاق بن هلال.
- ١٧- إسماعيل بن رباح الكوفي.
- ١٨- بكار بن كردم.
- ١٩- بكير بن أعين الشيباني.
- ٢٠- جعفر الأزدي.
- ٢١- جعفر بن عثمان الرواسي.
- ٢٢- جميل بن دراج.
- ٢٣- جميل بن صالح.
- ٢٤- حذيفة بن منصور الخزاعي.
- ٢٥- حريز بن عبدالله الأزدي.
- ٢٦- الحسين بن أبي العلاء الخفاف.
- ٢٧- الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ٢٨- الحسين بن نعيم الصحاف «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٢٩- حفص بن البختري «له كتاب يرويه عنه».
- ٣٠- الحكم بن مسكين «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٣١- الحكم بن أيمن الخياط الكوفي «له كتاب يرويه عنه».
- ٣٢- الحكم بن حكيم الصيرفي الكوفي «له كتاب يرويه عنه».
- ٣٣- الحكم بن علباء الأسدي.
- ٣٤- حماد بن عثمان (ورواياته عنه تبلغ ثمانية وستين مورداً).
- ٣٥- حمزة بن حمران بن أعين مولى بني شيبان الكوفي.

- ٣٦- حنان بن سدير الصيرفي الكوفي «له كتاب يرويه محمد عنه».
- ٣٧- خالد بن أبي العلاء الخفاف.
- ٣٨- خلاد بن خلف المقرئ «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٣٩- داود بن زربي «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٤٠- ذريح بن يزيد بن محمد المحاربي «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٤١- رفاعة بن موسى النخاس.
- ٤٢- رومي بن زرارة.
- ٤٣- زياد بن سوقة البجلي الكوفي.
- ٤٤- زيد الزراد النرسي الكوفي «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٤٥- سعد بن أبي خلف الكوفي «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٤٦- سعدان بن مسلم (عبدالرحمن بن مسلم) العامري.
- ٤٧- سعيد بن غزوان الأسدي الكوفي «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٤٨- سفيان بن صالح «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٤٩- سلمة بن محرز الكوفي.
- ٥٠- سيف بن عميرة النخعي الكوفي.
- ٥١- عامر بن نعيم القمي.
- ٥٢- عبد الرحمن بن أبي عبد الله ميمون البصري.
- ٥٣- عبد الرحمن بن الحجاج البجلي الكوفي بياح السابري «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٥٤- عبد الله بن بكير بن أعين الشيباني.
- ٥٥- عبد الله ابن سليمان الصيرفي.
- ٥٦- عبد الله بن سنان.
- ٥٧- عبد الله بن القاسم.
- ٥٨- عبد الله بن لطيف التقليسي.
- ٥٩- عبد الله بن المغيرة البجلي.
- ٦٠- العلاء بن سيابة الكوفي.
- ٦١- علي بن أبي حمزة البطائني (أحد أعمدة الوقف) «له كتب رواها عنه محمد».
- ٦٢- علي بن عطية الحنات «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٦٣- علي الصيرفي.
- ٦٤- عمر بن يزيد.
- ٦٥- عيسى بن خلود الفراء.
- ٦٦- غياث بن إبراهيم.

- ٦٧- الفضل بن يونس الكاتب «له كتاب يرويه عنه محمد بواسطة الحسن بن محبوب».
- ٦٨- كردويه الهمداني.
- ٦٩- محمد بن أبي حمزة ثابت بن أبي صفية الثمالي «له كتاب يرويه محمد عنه».
- ٧٠- محمد بن إسحاق بن عمار.
- ٧١- محمد بن الحكم (أخو هشام بن الحكم).
- ٧٢- محمد بن حمران بن أعين «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٧٣- محمد بن عمران العجلي.
- ٧٤- محمد بن النعمان بن أبي طريفة.
- ٧٥- محمد بن يونس.
- ٧٦- مرازم بن حكيم الأزدي المدائني.
- ٧٧- معاوية ابن عمار الدهني الكوفي «له كتب يرويها عنه محمد بن أبي عمير».
- ٧٨- معاوية بن وهب البجلي.
- ٧٩- منصور بن يونس.
- ٨٠- موسى بن بكر الواسطي.
- ٨١- وهب بن عبد ربه مولى بني أسد كوفي.
- ٨٢- هاشم بن المثنى الكوفي «له كتاب يرويه عنه محمد».
- ٨٣- هشام بن الحكم «له كتب يرويها محمد».
- ٨٤- هشام بن سالم الجواليقي «له كتاب يرويه محمد عنه».
- ٨٥- يحيى بن موسى الصنعاني.
- ٨٦- يعقوب بن عثيم.
- ٧٨- يونس بن يعقوب بن قيس الدهني^(٤٥).

ملاحح رجال الفكر في مدرسة ابن أبي عمير:

كانت حياة محمد بن زياد رضي الله عنه حافلة بالعمل والجهاد من أجل توصيل معارف أهل البيت عليهم السلام للأمة، وبسبب جهده المتواصل أصبح من قادة الفكر والمعرفة في المجتمع العراقي ولدى مدرسة الوحي والإمامة، لكن موقفه المتشدد من السلطة الظالمة ومناصرته لقضايا الأمة جعلته هدفاً دائماً لأجهزة السلطة الأمنية، التي تتوجس من حرية الرأي وترى في الرأي المخالف موقفاً سياسياً رافضاً، من هنا صنفت السلطة العباسية ابن أبي عمير رضي الله عنه شخصيةً معارضةً، وبطبيعة الحال سوف تتواصل إجراءات السلطة تجاهه، وتمثل هذه الإجراءات مصدر قلق لمريدي ابن أبي عمير رضي الله عنه، وقد سببت هذه المواقف السلطوية حذراً من الاقتراب منه.

هذا ما نلاحظه عند البحث في سيرة الفقيه محمد بن أبي عمير رضي الله عنه، فمع كونه بحراً طارساً بالموقف والمذهب، ومع أن البعض رآه أكثر فقهاً من يونس بن عبدالرحمن رضي الله عنه، إلا أن من أخذ العلم والفقه عنه لا يتناسب مع مكانته، وسوف نورد بعض من أخذ العلم والمعرفة عنه ومن تتلمذ عليه وهم:

١- أبو عبدالله البرقي.

٢- عبدالرحمن بن أبي نجران.

٣- إبراهيم بن هاشم أبو إسحاق القمي له كتب، ويعد أول من نشر حديث الكوفيين في قم، أصله كوفي سكن قم.

٤- أحمد بن محمد بن عيسى بن عبدالله الأشعري، كان من كبار الفقهاء القميين، وقد روى ٢٢٩٠ رواية، كما أنه تحت عنوان: أحمد بن عيسى وردت في كتب الحديث ما يقارب ٧١٦٤ وقع أحمد بن عيسى في إسنادها، وتحت العنوان ذاته روى عن محمد بن أبي عمير ٢١٨ رواية.

٥- وأحمد بن هلال العبرتائي (١٨٠ - ٢٦٧هـ)، فاسد المذهب ورد الذم فيه، ولا يقبل علماء الرجال روايته، عرف بالتصوف، حج لبيت الله ٥٤ حجة، عشرين منها كان ماشياً.

٦- وأيوب بن نوح بن دراج، فقيه عظيم المنزلة، كان أبوه قاضياً في الكوفة، وعمه الفقيه الكبير جميل بن دراج، لكنه لم يرو عن أبيه ولا عن عمه، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، والإمام الجواد عليه السلام، والإمام الهادي عليه السلام، وكان وكيلاً عنهم، وقع في إسناد ٢٥١ رواية.

٧- والحسن بن محمد بن سماعة.

٨- والحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران الأهوازي، كثير الرواية من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ألف بالاشتراك مع أخيه ثلاثين كتاباً، يقول عنها الرجاليون أنها معتمدة، وقد روى عن الإمام الرضا والجواد والهادي عليهم السلام، وقع الحسين بن سعيد في إسناد الكثير من الروايات بلغت خمسة آلاف وستة وعشرين مورداً.

٩- السندي بن الربيع البغدادي، روى عن الإمام الكاظم عليه السلام، وله كتاب يرويه عنه صفوان بن يحيى، وقد وصف تارة بكونه بغدادي وأخرى بأنه كوفي.

١٠- عبد الله ابن أحمد.

١١- عبد الله بن عامر بن عمران.

١٢- عبد الله بن محمد بن عيسى الأشعري، أخو أحمد الأشعري المتقدم، قيل إن اسمه بنان، وقيل أنه لقب له، وقع عبدالله في إسناد ٤٤ رواية، ووقع باسم بنان في أحد عشر مورداً.

١٣- وعلي بن السندي، وقع في إسناد أربعة وثمانين مورداً، وقد اختلف فيه علماء الرجال هل هو متحد مع علي بن إسماعيل، أو متحد مع علي بن إسماعيل الميثمي، وقد

نفى الاتحاد مع كلا الاسمين السيد الخوئي في معجم رجال الحديث.

١٤- علي بن مهزيار الأهوازي، قيل: إن أصله من موالي الهند، كان في قرية من قرى فارس ثم سكن الأهواز، عظيم الشأن عند الأئمة الطاهرين، وكان من خواص الرضا عليه السلام والجواد عليه السلام والهادي عليه السلام، وكان وكيلاً عنهم، له العديد من الكتب بلغت ثلاثة وثلاثين كتاباً رواها عنه أخوه إبراهيم.

١٥- الفضل بن شاذان الأزدي النيشابوري (ت ٢٦٠هـ)، من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام والهادي عليه السلام والعسكري عليه السلام، فقيه متكلم له منزلة عظيمة عند الأئمة الطاهرين عليهم السلام، له من الكتب مائة وثمانين كتاباً، أغلبها في الرد على الفرق الضالة.

١٦- ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، وردت روايات بلغت أربعمائة وثمانين وسبعين رواية وقع محمد بن إسماعيل في إسنادها، وقد روى عن الإمام الكاظم والرضا والجواد والهادي عليهم السلام، وهو أحد كبار فقهاء مدرسة الوحي والإمامة.

١٧- محمد بن الحسين.

١٨- محمد بن خالد البرقي، وقد ورد بعنوان محمد بن خالد في إسناد كثير من الروايات بلغت أربعمائة وثلاث روايات، وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام.

١٩- محمد بن الزيات.

٢٠- محمد بن عبد الجبار الشيباني.

٢١- محمد بن عبد الله، يقول السيد الخوئي في رجاله: محمد بن عبد الله هذا مشترك بين جماعة، والتمييز إنما هو بالراوي والمروي عنه ^(٤٦).

٢٢- محمد بن عبد الله بن زرارة، ورد بهذا العنوان في إسناد الكثير من الروايات بلغت خمسة وستين مورداً، ويعد من الشخصيات المحترمة في المجتمع البغدادي وعند فقهاء مدرسة الوحي والإمامة، كما أنه أوصى بكل تركته عندما يموت أن تباع ويحمل ثمنها للإمام أبي الحسن عليه السلام.

٢٣- محمد بن علي، ورد بهذا العنوان في إسناد كثير من الروايات تبلغ ثلاثمائة وأربعة عشر مورداً، وهو مشترك بين جماعة والتمييز إنما يتم من خلال معرفة الراوي والمروي عنه ^(٤٧).

٢٤- محمد بن عيسى، ورد بهذا العنوان في الكثير من الروايات بلغ عددها ألف واثنين وتسعين مورداً، وهو مشترك بين محمد بن عيسى بن سعد ومحمد بن عيسى بن عبيد ^(٤٨).

٢٥- محمد بن عيسى بن عبيد.

٢٦- معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الدهني، روى عن الرضا عليه السلام، وله العديد من الكتب، كما أنه روى الكثير من الأصول بلغت أربعة وعشرين أصلاً لم يروها غيره.

٢٧- موسى بن الحسن بن عامر الأشعري القمي، ورد بعنوان موسى بن الحسن بن إسناد العديد من الروايات بلغت ستة وسبعين مورداً، كما أن الأشعري هذا يعد من أعيان الطائفة وقد صنف ثلاثين كتاباً.

٢٨- موسى بن عمر، ورد بهذا العنوان في روايات عديدة بلغت خمسة وخمسين مورداً، وهو مشترك بين جماعة والتميز إنما يتم عبر معرفة الراوي والمروي عنه.

٢٩- موسى بن عمران النخعي.

٣٠- نوح بن شعيب الخراساني.

٣١- هارون بن مسلم السامرائي الكاتب، أصله من الأنبار، وقد سكن بغداد ومات بها، وقع بعنوان هارون بن مسلم في العديد من الروايات بلغت مائة وتسعة وثمانين مورداً، وقد وصفه النجاشي بأن له مذهب في الجبر والتشبيه، عد من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام).

٣٢- يعقوب بن يزيد بن حماد السلمي الأنباري، من كتاب الخليفة العباسي المنتصر (٢٢٣ - ٢٤٨هـ/ ٨٣٨ - ٨٦٢م)، وثقه علماء الرجال، وعدوه من أصحاب الأئمة الطاهرين الكاظم والرضا والجواد والهادي (عليهم السلام)، له العديد من الكتب.

الهوامش:

- (١) اختيار معرفة الرجال، مصدر سابق، ص ٥٩٩.
- (٢) رجال النجاشي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٢٠-٤٢١.
- (٣) معجم رجال الحديث، ج ٢١، ص ٢١٣.
- (٤) اختيار معرفة الرجال، ص ٥٣٨-٥٣٩.
- (٥) المصدر السابق، ص ٥٣٨.
- (٦) اختيار معرفة الرجال، ص ٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤-٣٣٥.
- (٧) المصدر السابق، ص ٥٤٢.
- (٨) الناصري، رياض محمد حبيب، الواقفية.. دراسة تحليلية، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) - مشهد المقدسة، المطبعة مهر- قم، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩هـ، ج ١ ص ٨٢.
- (٩) اختيار معرفة الرجال، مصدر سابق، ص ٥٤٨.
- (١٠) المصدر السابق، ص ٥٤٠-٥٤١.
- (١١) الجندي، عبدالحليم، الإمام جعفر الصادق، الطبعة الأولى، سنة النشر ١٣٩٧هـ، ص ٢٢٢.
- (١٢) المصدر السابق.
- (١٣) المصدر السابق، ص ٥٤٢.
- (١٤) المصدر السابق، ص ٥٤١.
- (١٥) المصدر السابق، ص ٥٤٧.
- (١٦) آل فقيه، الشيخ محمد جواد، سلمان الفارسي، الطبعة الثالثة، عام ١٤٠٥هـ، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت، ص ١٤٩.
- (١٧) اختيار معرفة الرجال، ص ٥٤١.
- (١٨) المصدر السابق، ص ٥٤٠.
- (١٩) المصدر السابق، ص ٥٤٢.
- (٢٠) رجال النجاشي، ج ٢، ص ٤٢٢.
- (٢١) لقد أحرق القادر بالله في مدينة بغداد عام ٤٢٠هـ خمسين حملاً من الكتب، ما خلا كتب «المعتزلة» و «الباطنية» و «الشيعية». و أحرق طغرل بك أمير السلاجقة العام ٤٤٩هـ مكتبة الشيعة في محلة «الكرخ» والتي أنشأها العام

- (٢٨) معجم رجال الحديث، مصدر سابق، ج ١٥ ص ٢٨٨-٢٨٩.
- (٢٩) تنقيح المقال في علم الرجال، مصدر سابق، ج ٢ ص ٦٣.
- (٣٠) معجم رجال الحديث، ج ١٥، ص ٢٨٨.
- (٣١) اختيار معرفة الرجال، ص ٦٢٩.
- (٣٢) المصدر نفسه.
- (٣٣) تنقيح المقال في علم الرجال، ج ٢ ص ٦٢.
- (٣٤) رجال النجاشي، ج ٢ ص ٢٠٦.
- (٣٥) معجم رجال الحديث، ج ١٥ ص ٢٩٤.
- (٣٦) المصدر السابق، ج ١٥ ص ٢٩٥.
- (٣٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٣٦٧هـ، المطبعة: حيدري، الناشر دار الكتب الإسلامية - آخوندي، ج ٥ ص ١٠٥.
- (٣٨) المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (٣٩) المصدر نفسه.
- (٤٠) المصدر نفسه.
- (٤١) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
- (٤٢) المصدر السابق، ص ١٠٨.
- (٤٣) الكلباسي، أبو الهدى، سماء المقال في علم الرجال، تحقيق السيد محمد الحسيني القزويني، المطبعة أمير - قم، سنة الطبع ١٤١٩هـ، الطبعة الأولى، الناشر: مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية - قم، ج ٢ ص ٣٤١.
- (٤٤) اختيار معرفة الرجال، مصدر سابق، ص ٦٣٠.
- (٤٥) راجع معجم رجال الحديث، ج ١٥، ص ٢٩٨-٣٠٠.
- (٤٦) معجم رجال الحديث، ج ١٧ ص ٢٤٤.
- (٤٧) راجع معجم رجال الحديث، ج ١٧ ص ٣١٤.
- (٤٨) المصدر السابق، ج ١٨ ص ١١٣.

- ٣٨١هـ أبو نصر سابور وزير بهاء الدولة البويهية، والتي كانت تضم أكثر من عشرة آلاف كتاب كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، ومن جعلتها مائة مصحف بخط ابن مقله. هذا إضافة إلى حرق مكتبة شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وكرسيه الذي كان يجلس عليه للتدريس. كل ذلك لأنهم ترددوا في إضافة قول: «الصلاة خير من النوم» في أذان أسحارهم. وقد أكد التاريخ أن غزو هولاء الوثنى لبلاد المسلمين في العراق وقسم كبير من إيران جاء بتحريض من قاضي قضاة المسلمين في حينه شمس الدين القزويني للقضاء على الإسماعيليين الشيعة. فجعل هولاء هذا من الكتب الموجودة يومئذ في خزائن بغداد جسراً على نهر دجلة يعبر عليه جنوده للفتك بالمسلمين، و أمر بإحراق ما تبقى منها. وقد بلغ ما استطلع الشيخ نصير الدين الطوسي رحمته الله جمعه من فلول تلك الكتب أربعمائة ألف مجلد استودعها في مكتبة مراغة. وأحرق المغول بقيادة جنكيز خان أثناء غزوهم المصاحف ومزقوها في مدينة بخارى وغيرها من المدن حتى صنعوا من أغلفتها الثمينة مذاود لخيولهم. وكذلك أصدر جنكيزخان أمراً إلى جنوده بردم الخندق المحيط بحصن في «بخارى» بربعات القرآن الكريم وبالمنابر.
- (٢٢) رجال النجاشي، مصدر سابق، ج ٢ ص ٤٢٢.
- (٢٣) اختيار معرفة الرجال، ص ٥٤٠.
- (٢٤) تنقيح المقال في علم الرجال، مصدر سابق، ج ٢ ص ٦٢.
- (٢٥) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٦٢.
- (٢٦) المصدر السابق.
- (٢٧) اختيار معرفة الرجال، ص ٦٢٨.